**الأستاذ الدكتور الهواري بلقندوز**

**قسم اللغة العربية وآدابها**

**جامعة سعيدة**

**مادة النحو الوظيفي**

**السنة الثالثة ليسانس/ تخصص لسانيات عامة**

**المحاضرة الثانية:**

نظرية النحو الوظيفي بين التأسيس و التأصيل:

1- لمحة تاريخية:

تشير المداخل البيبليوغرافية إلى أن نظرية النحو الوظيفي نشأت على يد نخبة من الباحثين الهولنديين بجامعة أمستردام يرأسهم الباحث اللساني سيمون ديك ، حيث قدّم الصياغة الأولية العامة لنظرية النحو الوظيفي سنة 1978م ، أرسى بموجبها الأسس النظرية، والقواعد المنهجية التي يقوم عليها الجهاز المفاهيمي العام.

و يمكن أن نؤرخ للانطلاقة الأولى للنحو الوظيفي من خلال الانتقاد الذي وجهه سيمون ديك (1968) للتحليل الذي قدمه النموذج المعيار للبنيات العطفية، و هو انتقاد يكشف عن قصور هذا النموذج و عدم كفايته في تقديم تحليلات وافية لبعض الأنماط الجملية. ولهذه النظرية في نسختها الأصلية نماذج كثيرة متعاقبة، ما يؤهلها لأن تستجيب لشروط التنظير والنمذجة مع اقتراح صياغات مختلفة للجهاز الواصف للنظرية، نحصيها على الترتيب: مرحلة "ما قبل النموذج المعيار" (ديك (1978)) ومرحلة "النموذج المعيار (ديك (1997)) ثم مرحلة "ما بعد النموذج المعيار". وتندرج في الصياغة الثالثة أربعة نماذج هي: "النحو الوظيفي الموسّع" (ماكنزي ) و"النموذج المعجمي الوظيفي" ، و"النحو الوظيفي القالبي المتعدد الطبقات" (المتوكل (2004)) و"نحو الخطاب الوظيفي" (هنخفلد (2004)).

وبعد أن استوى عود هذه النظرية في مسقط رأسها بهولندا، انتقلت إلى أقطار أوروبية أخرى من مثل بلجيكا، وإسبانيا، وانجلترا، ثم دخلت بصفة رسمية إلى العالم العربي عبر بوابة المملكة المغربية وتحديدا جامعة محمد الخامس بالرباط، على يد الباحث أحمد المتوكل في السنوات الأولى من الثمانينات، لتنتقل بعد ذلك باحتشام إلى غيرها من الجامعات العربية عبر كافة أرجاء الوطن العربي من محيطه إلى خليجه نحو: الجزائر وتونس وليبيا وسوريا، ومصر والعراق...[[1]](#footnote-1) .

ومن اللافت للنظر أن انتقال هذه النظرية إلى المغرب بات ينطوي على رؤية أكاديمية مؤسسة، حيث مرّ بمراحل ثلاث: مرحلة الاستنبات ومرحلة التأصيل ومرحلة الإسهام والتطوير، في المرحلة الأولى أخذت نظرية النحو الوظيفي، مكانها بين الاتجاهات اللسانية التي كانت سائدة آنذاك وعلى رأسها الاتجاه البنيوي، والاتجاه التوليدي التحويلي، بالإضافة إلى مكونات الدرس اللغوي العربي القديم نحوا وبلاغة، ثم انتقل إلى مرحلة التأصيل حيث تم ربط نظرية النحو الوظيفي بمقترحات الفكر اللغوي العربي القديم بوصفه أصل لمنحى وظيفي عربي ينمو وينتعش بواسطة الدرس اللساني الوظيفي المعاصر.

أما في المرحلة الثالثة شرع اللسانيون الوظيفيون المغاربة وهم:(أحمد المتوكل، عز الدين البوشيخي، محمد الأوراغي، إسماعيل علوي حفيظ، أوشان علي، محمد الشكيري، مليطان محمد الحسين، جدير محمد، نعيمة الزهري،)، في تطوير نظرية النحو الوظيفي تنظيرا ومراسا، فابتدع المتوكل نموذج نحو الطبقات القالبي (2003) ثم أضاف نموذج نحو الخطاب الوظيفي الموسع (2010) بالإضافة إلى إسهامات عدد من الباحثين الآخرين في إضافة مكونات جديدة إلى نماذج من النظرية كما فعل عز الدين البوشيخي الذي أضاف المكون التخييلي (1998) إلى مكونات نموذج مستعملي اللغة الطبيعية في إطار الدفاع عن أطروحة مفادها أن الملكة "الإبداعية" ملكة من ملكات القدرة التواصلية العامة يتم تفعيلها بدرجات متفاوتة بين مستعملي اللغة الطبيعية. وقد تمخض عن هذه الجهود الأكاديمية الموحدة بزعامة أحمد المتوكل مشروع لساني متكامل ذي ثلاثة مسارات:

اللسانيات واللغة العربية: يهدف هذا المسار إلى دراسة اللغة العربية صرفا وتركيبا ودلالة وتداولا من منظور وظيفي، أي ترابط البنية الوظيفية وتنميط اللغة العربية بمقارنتها مع غيرها من اللغات ودراسة تطورها.

اللسانيات وقضايا المجتمع: في هذا المسار نسجل سبق الباحثين الوظيفيين إلى نقل إسهاماتهم اللسانية الوظيفية في الوصف اللغوي المحض إلى القطاع الاجتماعي بكل مظاهره لا سيما إشكال التعدد اللغوي.

اللسانيات والفكر اللغوي العربي القديم: انطلق هذا المسار من مبدأ الاستمرارية المعرفية بين التراث و الدرس اللساني الحديث، وعلى هذا الأساس تم اقتراح منهية علمية واضحة المعالم لإعادة قراءة مكونات التراث اللغوي العربي القديم وفق متصورات الدرس اللساني الوظيفي.

2- بين الوظيفة والوظيفية:

لقد اختلف الباحثون في تحديد وظيفة اللغة تحديدا صارما يأخذ في الحسبان مفهوم الوظيفة في إطارها الواسع.؛ فمنهم من ركز على الوظيفة بوصفها علاقة معرجا على الوظائف التركيبية والدلالية والتداولية، ومنهم من اقتصر على تصور الوظيفة بوصفها دورا حيث ينبغي الحديث عن مفهوم التواصل لا غير يفرق المتوكّل بين الوظيفة بوصفها دورا والوظيفة بوصفها علاقة، على أساس أن "العلاقة رابط بنيوي قائم بين مكونات الجملة أو مكونات المركّب في حين أنّ الدور يخص اللّغة بوصفها نسقا كاملا" [[2]](#footnote-2)، ويرى أنّ المفهوم الأول الذي يأخذه مصطلح الوظيفة بوصفها علاقة متداول ومعروف في معظم الأنحاء القديمة أو الحديثة مع اختلاف نوعي طبعا، في تصور العلاقة بين هذه الأنحاء، " ففي الأنحاء الصورية يستعمل هذا المصطلح للدلالة على العلاقات التركيبية كعلاقات الفاعل والمفعول المباشر والمفعول غير المباشر.

وفي الأنحاء ذات المنحى الوظيفي يستخدم للدلالة على كل العلاقات التي يمكن أن تقوم داخل الجملة أو داخل المركّب. مثال ذلك أنّ النّحو الوظيفي يميّز بين ثلاثة مستويات من الوظائف: وظائف دلاليّة (منفذ، متقبّل، مستقبل، زمان، أداة ...) ووظائف تركيبيّة (فاعل، مفعول) ووظائف تداوليّة (محور، بؤرة) [[3]](#footnote-3). أمّا المفهوم الآخر للوظيفة (الدّور) فيربطه بالغرض العام من اللّغة،" وهو الغرض الذي تسخر اللغات الطبيعية من أجل تحقيقه" [[4]](#footnote-4)، سواء أكان هذا الغرض تواصلا أم تعبير اعن الفكر أم شيئا آخر.

لقد دافع ن. تشومسكي في نقاشه الشهير مع فلاسفة اللغة (1975) عن أطروحة وظيفة اللغة التي قد تتعدى التواصل إلى التعبير عن الفكر، إلا أن هذه الأطروحة تظل نمطا من أنماط التواصل بمفهومه العام حسب تصور س. دايك. وعليه يمكن تمثيل وظيفة اللغة بوصفها دورا وعلاقة حسب اختلاف وجهات النظر عند الباحثين على النحو الآتي:

مالينوفسكي (1960) ر. ياكوبسون (1963)

و. السحرية و. التعبيرية و. الميتالغوية

و. السرد و. التداولية

والحدث و.التأثيرية و. الانتباهية

و. الشعرية و. المرجعية

م. هاليداي (1970) س. دايك (1986)

و. التمثيلية

و. النصية و. التواصلية

و. العلائقية

تُعدّ الوظيفةُ معياراً من المعايير التي تُميَّزُ بها اللّسانيات الوظيفيّة عن غيرِها، واللّسانيات الوظيفيّةُ تسعى إلى تفسير الخصائص الصّوريّة للغاتِ الطّبيعيّة بربط هذه الخصائص بالوظيفةِ التّواصلية للّسان الطّبيعيّ، خلافا للنّظريات اللسانية التي تذهبُ إلى ضرورةِ الفصل بين بنية اللغات الطّبيعيّة ووظيفتِها التّواصليّة. وتأسيسا على ذلك، تعول اللسانيات الوظيفية على فرضيّة أنّه لا يُمكن الوقوفُ على خصائص بينة اللغاتِ الطّبيعيّة إلاّ بربطِها بوظيفةِ التَّواصل.

كما يمكن تمثيل عملية التواصل اللغوي في بعديها البنوي (تشكيلته وشروط تحقيقه) والوظيفي (وظائف مكوناته) حسب الترسيمة الآتية:

التواصل اللغوي

وسائله قنواته إوالياته أنماطه

مكوناته معجم تركيب صرف

أصوات ملفوظ مكتوب

فواتح، حوافظ عادي، فني

نواقل، خواتم علمي

مقال مقام و. اللــغوية و.الشعرية

متكلم مخاطب متكلم- مقال و.الإيصالية و.الميتالغوية فحوى قضوي

قوة إنجازية وجه

و. العلائقية

و. التعبيرية

و. التأثيرية

و. التمثيلية

و.المرجعية

ما نخلص إليه، هو أن اللغة حسب تصور المقاربة الوظيفية أداة تُسخّر لتحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية بمختلف أشكالها، فهي إذ ذاك لسان حال التفاعل الاجتماعي. من هذا المنظور، تعدّ العبارات اللغوية، وسائل تستخدم لتأدية أغراض تواصلية معينة وتُقارب خصائصها البنيوية على هذا الأساس.

1. ــ ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية ط: 01، 1427هـ 2006م، ص: 59 ــ 63. [↑](#footnote-ref-1)
2. - أحمد المتوكّل، التركيبات الوظيفية ،قضايا ومقاربات ،دار الأمان، الربا ط، المغرب، ط 1 ، 2005 ، ص 23. [↑](#footnote-ref-2)
3. - المصدر نفسه، ، ص 22. [↑](#footnote-ref-3)
4. - المصدر نفسه، ص 23. [↑](#footnote-ref-4)